مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

فوزي فاضل الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية
وكيل الأزهر سابقاً

مقدمة

لقد سئمت شعوب العالم الحروب، وأيقنت عن قناعة أن الحروب لن تحل المشكلات التي تقع في المجتمع الإنساني، وأن القتال لن ينهي الخلافات التي تنشأ بين الدول...، بل على العكس، وجدت الشعوب أن القتال والحروب تزيدها تعقيداً، وتولد الكراهية والبغضاء بين الشعوب المتحاربة، وأنها تدفع الشعوب المنهزمة المقهورة التي غُلبت على أمرها، تدفعها دفعاً إلى أن تتولد لديها غريزة الانتقام، وإلى أن تتبنى خطة الانتقام والأخذ بالثأر من الدول المنتصرة عليها...

وهكذا تعيش شعوب العالم في مآسي القتال والحروب التي تجلب الخراب والدمار، وتترك وراءها ملايين القتلى من العسكريين والأطفال والنساء والشيوخ من المدنيين، إضافة إلى الملايين من مشوهي الحرب من الجانبين...

ولقد عاش كبار السن في دول العالم- من الجيل الحالي- مآسي الحرب العالمية الثانية، وما خلّفته من دمار شامل في دول الغرب- التي بدأت منه- وفي دول الشرق التي لم تكن طرفا فيها...

ونعيش جميعاً ما يحدث- حالياً- في بعض دول العالم- من قتال وصراعات واعتداءات ظالمة صارخة من بعض الدول القوية التي تستغل تفوقها العسكري والاقتصادي في الاعتداء على الدول الضعيفة، وفرض هيمنتها عليها لاستغلال ثرواتها، وبسط نفوذها على المناطق المحيطة بها...

وهو ما نشاهده في فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان.. الخ

لذلك اتجهت شعوب العالم في النصف الثاني من القرن العشرين إلى منهج الحوار، واتخاذه أسلوباً لعلاج المشكلات التي تنشأ بين الدول، ومنهجاً للتعامل فيما بينها لحل القضايا والخلافات، والوصول إلى نتائج سليمة ترضي الأطراف المتصارعة... وعلا صوت المنادين بالحوار في دول العالم، وأعلنوا أنه لا بديل عن الحوار في حل المشكلات المحلية أو الإقليمية أو الدولية... وشكلت له مؤسسات ولجان شملت جميع مجالات الحياة: دينية، وثقافية، وحضارية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية...الخ، منها مؤسسات ولجان الحوار الديني، وحوار الحضارات...

وتحققت نتائجه الدولية في بعض المجالات، وكان أبرزها تحقيق الوحدة الأوروبية!! فمن كان يفكر أو حتى يظن أثناء الحرب العالمية الثانية، أو بعد انتهائها في عام ١٩٤٥م إلى أن الدول المتحاربة مثل: ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا...الخ ستنضم- مستقبلاً- في وحدة أوربية تجمعها لتتعاون فيما بينها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً...!!، بل وتتخلى كل دولة من دول الوحدة عن عملتها النقدية- التي هي جزء من تاريخها وتراثها- وتتعامل بعملة مالية نقدية جديدة موحدة فيما بينها «اليورو»، ويدخل المارك الألماني والفرنك الفرنسي والليرة الإيطالية...الخ في ذمة التاريخ!!

إن أي شخص لو كان قد قال هذا في ذلك الوقت لاتهم بالخبل والجنون...

ولكن قد تم ذلك وتحقق عن طريق الحوار...

موقف الإسلام من الحوار

قبل أن نتحدث عن أهمية الحوار الديني والحضاري ومدى الحاجة إليه، أو عن عدم أهميته وعدم الحاجة إليه... يتطلب الأمر أولاً أن نُبيّن موقف الإسلام من الحوار بصفة عامة: سواء أكان بين المسلمين و غير المسلمين، أم بين المسلمين فيما بينهم، وهل الإسلام يقر الحوار ويدعو إليه أم يرفضه ولا يوافق عليه؟

نقرر ونؤكد على أن: الحوار هو لغة الإسلام، وقد قضى الله- سبحانه- أن تكون علاقته- جل شأنه- بمخلوقاته قائمة على أساس الحوار الإقناعي؛ وليس على أساس القهر والإكراه، وأن القرآن الكريم- وهو دستور المسلمين، ومصدر عقيدتهم وشريعتهم- قد وجهنا إلى أن الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين اتباعه عند بحث القضايا والمشكلات، وعند مناقشة حل الخلافات التي تنشأ بين المسلمين وغيرهم، أو بين المسلمين بعضهم مع بعض...

وأن الحوار هو اللغة التي استعملها الله- جل شانه- مع مخلوقاته ليرشدنا إلى استعمال الحوار في جميع مجالات حياتنا، من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، واطمئنان وجداني... كي يعيش المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل، وأمن وأمان، وحب وسلام...

وقد أراد- سبحانه- أن يعلمنا علمياً- وبواسطة القدوة- أن النهج السليم في تأسيس وإدارة العلاقات بين البشر، أن يكون قائماً على أساس مبدأ

الحوار وحسن استخدامه مع الناس كافة: أفرادا كانوا أو جماعات، أو شعوبا وحضارات، مسلمين وغير مسلمين: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (البقرة:٨٣)،و﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾ (طه: ٤٤) ، و﴿وَقُولُوَا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (الأحزاب٧٠): ،و﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦). الخ الآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم تؤكد على ذلك..

نقرأ القرآن الكريم فنجد: أن مادة "القول" وما اشتق منها: كقال، ويقول، وقل، وقالوا، ويقولون، وقولوا...الخ، هذه المادة التي تدل على: التحاور والمناقشة والجدال والمعارضة والمراجعة بين الناس فيما يتعلق بأمور حياتهم، قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة (١).

فمثلا لفظ "قال" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة مرة، ومن ذلك قوله- تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

ولفظ "قالوا" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله- سبحانه-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا

(١) "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي.

تُؤْمَرونَ . قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٦٧- ٧١).

ولفظ "يقول" قد تكرر في القرآن ثمان وستين مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١٠٩).

ولفظ "قل" تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٩).

ولفظ "يقولون" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، ومن ذلك قوله جل شأنه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ (الكهف: ٢٢).

وأسلوب الحوار والجدال وعرض الآراء والمناقشة في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته، وتعدد قضاياه، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات.

هناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار، أو بين الأخيار

فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم.

وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم في الباطل والضلال، أو مع السائلين للرسول- عليه الصلاة والسلام-.

وهناك حوار يدور حول إثبات وجود الله- جل شأنه- ووحدانيته، وحول الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب، وهناك حوار حول القرآن الكريم وإعجازه...الخ ما ورد في القرآن الكريم من حوارات في موضوعات كثيرة...

فهذه الآيات الكثيرة التي تكررت في القرآن الكريم، وردت فيها مادة "القول" وما اشتق منها، والتي تكررت أكثر من ألف وسبعمائة مرة- كما أشرنا سابقا- إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الحوار هو لغة الإسلام، وأنه اللغة التي ارتضاها الخالق- جل شأنه- لعباده للمناقشة والجدال والتفاهم في حل مشكلاتهم وقضاء مصالحهم...

البابا بندكت السادس عشر والحوار

من المسلم أنه حدث فتور في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، أو بتعبير أكثر صراحة ووضوحاً حدثت انتكاسة للحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ توليه.

وتعود أسباب ذلك إلى الآتي:

(أ)- سبق أن شكل المجمع الفاتيكاني الثاني - في الستينيات- نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث دعا الكاثوليك لتغيير موقفهم إزاء مؤمني الديانات الأخرى، وأنشئت بعد ذلك بقليل مؤسسات حوار جديدة في الفاتيكان، وفي المقر الرئيسي لمجلس الكنائس العالمي، وأسست في بلدان عدة هيئات مشابهة ومعاهد للتعليم والبحوث.

ثم جرت- بعد ذلك- عشرات اللقاءات بين الجامعيين ورجال الدين والسياسيين، فسبروا غور مجالات عدة، وتدارس البعض منهم النواحي العقيدية والصوفية للمسيحية والإسلام، فيما عالج آخرون المسائل الاجتماعية والثقافية...

ومع مرور الزمن تزايد عدد المنخرطين في ضروب الحوار تلك، فيتواجد الآن مسيحيون من كافة المذاهب، ومسلمون من جميع الأمم والأنظمة في صفوف المشتركين والمنظمين لأحداث حوارية من أنواع متعددة.

وقد اتّبعت بصورة منظمة لقاءات معينة بين الجانبين: جماعة من

المحاضرين بأعداد متساوية؛ تقدّم بالتناوب وجهات النظر المسيحية والإسلامية في موضوعات محددة، أمام حضور موسع، ويصدر عقب كل لقاء- في معظم الأحيان- إعلان مشترك يوصي بالتفاهم والمزيد من تبادل الآراء، والعمل المشترك لمواجهة عدم المساواة بين البشر، واندلاع الحروب، وتفشي المظالم...الخ [١].

(ب)- كان البابا بندكت السادس عشر- قبل أن يتولى بابوية الفاتيكان- يمثل القوى المحافظة في الفاتيكان- الكنيسة والدولة- منذ أن شغل موقع رئيس لجنة العقيدة في المؤسسة الكنسية الفاتيكانية.

وقد لعب الكاردينال "راتزينجر" وهذا هو اسمه قبل أن يتولى بابا الفاتيكان ويسمي نفسه البابا بندكت السادس عشر، لعب دورا بارزا في التصدي لكل محاولات الخروج على المقررات الفاتيكانية التي كانت مقررة سابقا "قبل المقررات الجديدة التي أقرها المجمع الفاتيكاني الثاني"، ومثالها الأشهر التصدي للاهوت التحرير ومدارسه وحركاته في أمريكا اللاتينية، وأسيا وأفريقيا، واعتبارها حركات اجتماعية ذات طابع يساري نشأت تحت وطأة انتشار الأفكار والأيدلوجيات الماركسية والاشتراكية أثناء بابوية البابا الراحل يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان.

(جـ)- اتّباع البابا بندكت السادس عشر في سياسته منهجاً مضاداً لمنهج سياسة الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى، بما فيها الإسلام والبوذية

---

(١) من بحث بعنوان: "تقييم الحوار المسيحي الإسلامي في الآونة الأخيرة" للأب الدكتور جان ماري غوديل، ألقاه في ندوة الحوار التي عقدت فى طرابلس- ليبيا- في الفترة من ١٦- ١٨ مارس ٢٠٠٢م.

وغيرها، وقد كان بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثاني قد اتخذه منهجاً لسياسته ؛ تمشياً مع مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني(١).

ولعل تهميشه لدور "المجلس البابوي للحوار بين الأديان" - بعد توليه البابوية- ونقل رئيسه الأسقف/ فيتزجيرالد، وتعيينه سفيراً للفاتيكان في القاهرة يؤيد ذلك.

(د)- اتجاه التأويلات الدينية للبابا بندكت السادس عشر صوب المحافظة حيناً، والتشدد حيناً آخر، ويلاحظ أنه يحاول أن يصنع ضوابط وحدوداً على النظام العقدي واللاهوتي الكاثوليكي، لإعادة تجديد إيمان الكتلة الكاثوليكية عبر ضبط حدودها الإيمانية وتعاليمها، إزاء زحف البروتستانتينية والأرثوذكسية، وتجاه تمدد البوذية، وتجاه الانتشار السريع للإسلام.

(هـ)- القلق الذي يعانيه البابا بندكت السادس عشر من:

١- بروز توترات تعود إلى نقص في عدد الملتزمين بالكاثوليكية في أمريكا الشمالية لأسباب عديدة لعل أهمها: بعض قضايا التحرش الجنسي بالأطفال من قبل بعض القساوسة الكاثوليك، وتورط بعض كبار الأساقفة معهم، ووصول التعويضات عن هذه الأفعال المشينة إلى ملياري دولار، ويذهب البعض إلى أنها ثلاثة مليارات.

٢- عودة بعض مواطني الاتحاد السوفيتي السابق الملحدين إلى دائرة

---

(١) وأقوى الأدلة على ذلك زيارته لمشيخة الأزهر الشريف في فبراير عام ٢٠٠٠م أثناء زيارته لمصر، وتبادل الكلمات الطيبة بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وزيارته لدير سانت كاترين في سيناء، وزيارته لبعض الدول الإسلامية والعربية.

الكنيسة الأرثوذكسية الروسية.

٣- ظاهرة انتشار العلمانية، وعدم الاهتمام بالدين في دول أوربا.

وقد انعكس ذلك في محاولته نشر المذهب الكاثوليكي في مناطق أخرى من العالم.

(و)- أثار البابا بندكت السادس عشر أزمات عديدة مع الإسلام منذ توليه، أشهرها محاضرته ذائعة الصيت السلبي حول الإسلام والمسيحية والعقل، التي ألقاها في أحدى الجامعات الألمانية ... والمحاضرة في مجموعها عرض ديني فلسفي عن الذات الإلهية من وجهة نظر المسيحية، وعن التيارات المسيحية في القرون الوسطى...

غير أن البابا في آوائل محاضرته- وبعد أن ذكر جانباً من ذكرياته الخاصة مع هذه الجامعة- قال: (كل هذا حضرني وأنا أقرأ مؤخرا كتاباً للبروفسور "تيودورخوري" الذي أخرج فيه جزءاً من نقاش دار بين القيصر البيزنطي- مانويل الثاني- وبين أحد المثقفين الفرس. وكان هذا النقاش في شتاء عام ١٣٩١م، ودار هذا الحوار حول الإسلام والمسيحية وحقيقة كليهما).

وقد توجه القيصر مباشرة، وبطريقة فظة إلى مناقشه الفارسي بالسؤال عن العلاقة بين الدين والعنف فقال له: أرني ما هو الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد سوى كل ما هو سيء، وغير إنساني، وذلك مثل نشر الاعتقاد الذي كان يُعلّمه لخصمه باستخدام السيف!!

وللأسف فقد وقع البابا في خطأ ما كان ينبغي أن يقع فيه، إذْ ذكر هذا الكلام السيء عن الإسلام نقلاً عن غيره، ثم لم يعلق ولم يعقب عليه،

كما لم يذكر رد المثقف الفارسي على القيصر البيزنطي، فكأنه راض عن هذا الكلام [١].

أهمية زيارته لأمريكا[٢]

اكتسبت زيارة البابا بندكت السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية أوائل عام ٢٠٠٨م بعضاً من الأهمية السياسية والرعوية للأسباب الآتية:

١- لأنها تمت في لحظة تاريخية تتسم بالتوترات والقلق والخوف الكوني من نزاعات الأديان ومنافساتها على خرائط النزاعات الدولية الأخرى.

٢- الأهمية النسبّية لموقع كلتا الدولتين في النظام الدولى: فالأمبراطورية الأمريكية تبدو تجلياتها في القوة الاستراتيجية الكونية ومصادرها العسكرية والاقتصادية والتقنية والعلمية... والبابا يقود امبراطورية رمزية، ويحمل مصادر للقوة العقدية والحضور الروحي على المستوى العالمي...

وكلتا القيادتين يتسم تفكيرهما بالنزعة الدينية المحافظة، والحضور المؤثر في قلب التفاعلات الدولية وصراعاتها.

٣- العلاقات التاريخية بين المؤسسة الأمريكية والفاتيكان في ظل تقارب

(١) أشرت إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في البحث الذي قدمته في مؤتمر مكة المكرمة السابع الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي في ٥-٧/ ١٢/ ١٤٢٧هـ تحت شعار: "نصرة نبي الأمة ﷺ، وعنوان البحث: "موقف مؤسسات الحوار الحضاري ومسؤوليتها".

(٢) من مقال نشر في جريدة الأهرام المصرية بعنوان: "زيارة البابا لأمريكا.. قوة الرمز ورمز القوة" للأستاذ/ نبيل عبدالفتاح مساعد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ورئيس تحرير تقرير الحالة الدينية في مصر، ورئيس تحرير كتب مركز الدراسات بالأهرام "بتصرف".

وحوار واتفاقات واختلافات... ولاسيما منذ الحرب الباردة، والدور البارز للبابا البولندي الأصل الراحل يوحنا بولس الثاني في دعم عمليات انهيار النظام السوفيتي والكتلة الامبراطورية الماركسية...

٤- تولى البابا- الألماني الأصل- بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان ليتوج ذروة النزعة المحافظة، وتراجع خطابات لاهوت التحرير، وتقوية هيمنة السلطة البابوية على الكتلة الكاثوليكية العالمية، بما يصفه بعضهم بتراجع مجمع الفاتيكان الثاني..

إن زيارة البابا لأمريكا تبدو رعوية، ولكنها سياسية في ظل اتفاق الدولتين إزاء بعض القضايا الاجتماعية والطبية: كرفض بوش والبابا للإجهاض، والقتل بدافع الرحمة، وأبحاث خلايا المنشأ الجنينية، وزواج المثليين.. وذلك كتعبيرات عن عقائد وإدراكات دينية وسياسية محافظة.

وإن كانتا تختلفان في الرأي حول طبيعة الحرب في العراق: حيث يراها الأمريكان مشروعة وضرورية للقضاء على تهديدات أسلحة الدمار الشامل، والمساعدة في نشر الديمقراطية وقيمها في المنطقة!! ويراها الفاتيكان أنها لا تدخل ضمن مفهوم الحرب العادلة.

وقد لوحظ على الخطاب البابوي- أثناء الزيارة:

(أ)- أنه بدأ يتحرك حول نزعة محافظة تحاول التوافق مع بعض ملامح عصرنا، كالدعوة إلى حقوق الإنسان، وحرية التدين والاعتقاد..

(ب)- أنه حاول أن يدعم روحياً ضحايا فضائح التحرش الجنسي

بالأطفال القصر على أيدي كهنة كاثوليك بلغوا أكثر من أربعة الآف كاهن منذ عام ١٩٥٠م، ودفعت الكنائس أكثر من مليارين من الدولارات تعويضاً عن تلك الأفعال المشينة.. كما تضمن الخطاب انتقاداً لرجال الدين الكاثوليك، ولا سيما بعض الأساقفة الذين تواطؤوا مع بعض الكهنة الآثمين، والذين بلغ المدانون فيهم ٤٣٩٢ من أصل ١١ ألف كاهن خدموا في أمريكا بين أعوام ١٩٥٠- ٢٠٠٢م، وحاول الخطاب الرعوي السياسي البابوي أن يتجاوز الأزمة التي ألَّمت بالضمير الكاثوليكي الأمريكي.

إن زيارة البابا لأمريكا تعد جزءاً من الدبلوماسية الدينية الاحتوائية والدفاعية التي استهدفت وقف عملية تراجع الكاثوليكية في أمريكا، حيث فقدت الكاثوليكية خلال السنوات الماضية نحو ٧٪ من مؤمنيها الذين كانوا يشكلون ٣١٪ من الأمريكيين... واستطاع البابا أن يحقق قدراً من التعبئة العقائدية للكاثوليك القادمين من أمريكا الجنوبية والوسطى، وامتدح ما أسماه حيوية معتقداتهم الدينية، وذلك كجزء من دبلوماسية التنافس المذهبي مع البروتستانتينية ومؤسساتها البارزة التي تمثل ٥١٪ من الأمريكيين.

كما سعت سياسة الفاتيكان إلى محاولة وقف التوتر في بعض مناطق الوجود الكاثوليكي خصوصاً، والمسيحي عموماً، وفي بعض مناطق النزاعات المسلحة والحروب ولاسيما في العراق حيث تعرضت الكنائس والمَحال والمسيحيين- الكلدان- إلى عنف تدميري ودموي، وآخرهم رئيس الأساقفة الكلدان في الموصل بولص فرج رجو، وإلى وقف نزيف هجرة المسيحين من العراق..

ومن أبرز المواقف أثناء زيارة البابا لأمريكا: ما ذهب إليه البابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة للدعوة لعودة مفهوم الحماية الدولية والمسؤولية الدولية عن طريق المنظمة الدولية، وهو أمر فشل في أزمة التطهير العرقي في رواندا عام ١٩٩٤م، واستخدم في شمال العراق، واستخدم في حق التدخل الإنساني في الصومال، واستخدم ذريعة للتدخلات الأمريكية في مناطق متعددة حول العالم.

إن نتائج زيارة البابا للولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى تجنب كلا الطرفين القضايا الخلافية، مع إبداء القلق المشترك من الوضع في العراق، وفي بعض مناطق أخرى في المنطقة، وأن الطرفين يأملان في حل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي مع إقامة دولة فلسطينية مستقلة، مع دعم سيادة لبنان...

وكلها صياغات دبلوماسية عامة وغير محددة، وسائلة، ولا تنطوي على التزامات محددة..

ومن أبرز ما حاول البابا إنجازه- في حدود- هو رفض إلغاء صلاة الجمعة العظيمة التي تدعو إلى اعتراف اليهود بالمسيحية، مع رفضه أي موقف ازدراء أو تمييز إزاء اليهود، أو أي شكل من أشكال معاداة السامية...

والتصدي للنشاط التبشيري البروتستنتي، والانتشار الإسلامي، والبوذية التي تنتشر بنعومة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب..

إن الهدف من الحديث عن زيارة البابا بندكت السادس عشر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعن نشاطه الديني والسياسي خلال هذه الزيارة، هو إلقاء الضوء الكاشف على فكر واتجاهات وسياسة الفاتيكان تحت قيادة البابا بندكت السادس عشر، لتحديد سياستنا وخططنا ومنهجنا عند الحوار مع الفاتيكان.

أهمية الحوار الديني في الوقت الراهن

إذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي قد أصيب بفتور، بل وتعرض لنكسة منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، فليس معنى ذلك أن نتوقف عن الحوار الديني مع الآخرين، أو أن نغلق هذا الملف الحيوي الهام.

فالحوار الإسلامي المسيحي مع الكنيسة الانجليكانية "كانتبري" يسير سيراً حسنا، وتسوده العلاقات الطيبة، والاحترام المتبادل، والتفاهم الإيجابي، والتعاون البناء منذ أن تم توقيع اتفاقية الحوار بينها وبين الأزهر الشريف في يناير ٢٠٠٢م ... وهذا يدعونا إلى التفاؤل، وإلى المضي قدماً في مشوار الحوار الديني لنحقق أهدافه السامية المنشودة، والغاية النبيلة المأمولة.

إن العالم اليوم طغت فيه العلمانية أكثر من أي عصر مضى، وظاهرة البعد عن الله صارت سمة من سمات العصر الحديث، والصراعات بين الدول المختلفة كثرت وتفاقمت، وذلك يعود إلى أسباب عديدة نطرح بعضها تمثيلاً؛ لا حصراً فيما يلي :

١- بروز بعض ظواهر التوتر والنزاعات بين الدول والكتل الدينية الكبرى في عالمنا المعاصر، وبين بعض المذاهب داخل الأديان نفسها، ومثالها:

(أ)- الكاثوليكية إزاء البروتستانتينية والأرثوذكسية.

(ب)- بعض مظاهر التوتر الإسلامي على مستوى مذهب أهل السنة والشيعة، وخاصة في ظل انعكاسات الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق.

(جـ)- ظواهر التوتر الديني بين بعض الجماعات الإسلامية وبين المقاومة الفلسطينية المشروعة إزاء الاحتلال الإسرائيلي ، وانعكاسات ذلك على بعض صور اليهودي في بعض التصورات الإسلامية "الصهيونية العالمية".

٢- محاولة بعض الدوائر في عالمنا المعاصر إشعال الصراع أو التوتر بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وإظهار الدين الإسلامي العظيم بقيمه المتسامحة والعادلة، ومبادئه الراقية التي تدعو إلى التعارف والتعايش والتعاون والحب والإخاء بين الناس جميعا... إظهاره بمثابة العدو للغرب، كما ورد في كتابات "صمويل هانتجتون" في كتابه "صراع الحضارات".

٣- الآثار السلبية لأحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م الدامية، والتي ترسخت في العقل و الوعي والإدراك الجماعي الغربي إزاء الإسلام... وما أثارته هذه الأحداث من مجموعة من المقولات النمطية ضد الإسلام، التي ظهرت وكثرت في الآلة الإعلامية الغربية، وفي مناطق أخرى من عالمنا، والتي أساءت إساءة بالغة للمسلمين حيث قدمتهم للعالم في صورة إرهابيين، بل وتجاوزت هذه المرحلة وقدمت الإسلام ذاته على أنه دين عنف وقتال وسفك دماء..

صور نمطية واستشراقية قديمة ومغلوطة حول ديننا العظيم الذي جاء رحمة وهداية للعالمين، وتنطوي على سلبيات قديمة أشاعتها بعض الدوائر الغربية حول الإسلام: العقيدة والشريعة والقيم والمبادئ الأخلاقية والثقافة والتاريخ...

وهذا يدعونا إلى التمسك بالحوار الديني ، وإلى أن نبذل كل ما في وسعنا لنشره وتعميمه، فالحوار الديني بين أتباع الديانات السماوية يحقق أهدافاً

سامية تخدم البشرية، منها على سبيل الاسترشاد لا الحصر:

١- أن الحوار الديني وسيلة فعّالة للتفاهم والتقارب والتآلف بين أتباع الديانات.

٢- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الارتقاء بالقيم الإنسانية والأخلاقية، وإلى توضيح ارتباطها بالقيم الروحية المستمدة من التعاليم الدينية.

٣- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى تجميع القوى الدينية لمواجهة الإلحاد والانحلال والمذاهب اللادينية الهدامة.

٤- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الحد من انتشار الرذيلة، والقضاء على الفساد الاجتماعي .

٥- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل قضايا الصراع الديني بين الشعوب مختلفة الأديان، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمي عقائديا إلى أديان متعددة، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمي إلى دين واحد ولكنه يتصارع مذهبيا.

٦- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل بعض المشكات السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواء على المستوى العالمي الخارجي ، أم على المستوى المحلي الداخلي ، لاسيما وأن بعض هذه المشكلات ترجع جذورها إلى صراعات دينية.

٧- أن استخدام الحوار الديني يساهم في نشر التسامح، وتحقيق المحبة بين البشر ليسود السلام بين الجميع.

٨- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى القضاء على التعصب والتطرف الديني وما ينتج عنهما من عنف وإرهاب.

٩- أن استخدام الحوار الديني يساهم في التعاون بين أتباع الديانات السماوية على تقديم المساعدات الإنسانية للمناطق التي تصاب بالكوارث.

١٠- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى احترام الشعائر والأماكن والمقدسات الدينية لأتباع الديانات المختلفة، وعدم التعرض لها بسوء [١].

(١) بحث "الحوار الديني وأهميته فى العصر الحاضر" إعداد مقدم البحث.

الإساءات المتكررة للإسلام وطرق علاجها

العداء للإسلام في أغلب مجتمعات دول الغرب لم ينقطع يوما ما، فالكتب التي ألفت وتؤلف ضد الإسلام، والمقالات التي نشرت وتنشر في وسائل الإعلام المضلل الذي أساء للمسلمين إساءة بالغة، حيث قدّمهم للعالم في صورة إرهابيين معتدين قتلة، بل وقدموا الإسلام ذاته على إنه دين عنف لم تتوقف، والاتهامات الباطلة ضد الإسلام والتي تحذر منه لأنه دين يُكره الناس على اعتناقه، وعلى استباحة أموال وأعراض وأرواح غير المسلمين لم تهدأ ولم تفتر...

غير أن أعداء الإسلام قد تجاوزوا الحدود والخطوط في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول- عليه الصلاة والسلام-، فتناولوه بالرسوم الكاريكاتورية السيئة التي نشرت في وسائل الإعلام المختلفة، والتي تنطق بعداء سافر للإسلام والمسلمين، وتكشف عن حقدهم البغيض على الإسلام، وعلى الجرأة في السخرية برسل الله وأنبيائه، وانعدام احترام الرموز الدينية للأديان، كما حدث في الدانمارك وفرنسا وإيطاليا... كما تتمثل في الأحاديث المتدنية الساقطة التي يدلي بها للأسف الشديد بعض من ينتسبون إلى رجال الدين غير الإسلامي عبر الفضائيات، وعبر الإنترنت...

والفيلم الذي أنتجه هولندي متعصب حاقد على الإسلام، مستخدماً بعض كلمات آيات قرآنية لم يكملها، توحي لمن يسمعها- وهي مبتورة عن بقية كلمات

الآيات التي تكمل وتوضح المعنى الصحيح لها- توحي له أن القرآن الكريم يدعو إلى الاعتداء على الآخرين وقتالهم، وإلى استباحة أرواحهم وأموالهم، في محاولة منه غير أخلاقية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين...

إذا كنا نعاني من تلك الإساءات المتكررة للإسلام من أعدائه، وإذا كنا نتألم من اتهام الإسلام- زوراً وبهتاناً- بالإرهاب والقتل وسفك الدماء، وإذا كان أعداء الإسلام قد تجاوزوا الخطوط والحدود في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول ﷺ.

إذا كنا نقاسي من كل هذا فما علاج ذلك؟

ليس علاج ذلك أن نتردى في إسفافهم بإسفاف مثله فنرد عليهم بمثل إساءتهم، لأننا نؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله- سبحانه- ونحترمهم ونجلهم، وقد أمرنا الله بذلك ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

وليس العلاج أيضاً أن نصاب بالإحباط فنتقوقع وننكمش على أنفسنا ونغلق أبواب الاتصال بغيرنا، ونعلن مقاطعة الحديث والتفاهم معهم... لأننا إذا فعلنا ذلك فقد حققنا لإعداء الإسلام ما يصبون إليه، ووقعنا في الشرك الذي ينصبوه لنا، وأكلنا الطعم الذي رموه لنا... لأن المتربصين بالإسلام ينشدون عزلتنا عن العالم، ويبغون حصارنا في دائرة مغلقة ليكيلوا لنا

الاتهامات بأن الإسلام دين يرفض التعامل والتعايش مع غيره من الأديان، وأن المسلمين منغلقون على أنفسهم يحاربون من عداهم، ويقاتلون من لا يدين بدينهم.

إن العلاج الأمثل هو أن نكرس جهودنا، ونبذل كل ما في وسعنا لإيضاح حقيقة الإسلام الناصعة البياض، الذي جاء خاتما لكل الرسالات السماوية، وفيه ما تحتاجه البشرية في جميع مجالات حياتها إلى أن تقوم الساعة، وأن نبي الإسلام محمداً ﷺ أرسله الله- تعالى- رحمة للعالمين وهدى للمتقين وإماماً للمرسلين... وأن سيرته العطرة من يوم مولده إلى أن لقي ربه حافلة بالعطاء للبشرية، يدعو إلى الخير ويرفض الشر، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يحاور ويناقش ويجادل كل الناس بالحسنى، يحترم النفس البشرية ويُحرّم الاعتداء عليها وعلى عرضها ومالها...

وتحقيق ذلك يتطلب منا أن نعمل في مجالات كثيرة متنوعة، والمقام هنا لا يسمح ببيانها والحديث عنها(١) .

وإنما أقصر حديثي هنا عن الحوار الديني .

---

(١) مجالات العلاج كثيرة جدا ومتنوعة، ويجب أن نلجها جميعاً مثل:
١- استخدام الإعلام بجميع أنواعه لتوضيح حقيقة الإسلام.
٢- تصحيح المعلومات الخاطئة عن الإسلام التي تدرس فى المؤسسات التعليمية فى الدول الغربية.
٣- إنشاء مراكز بحثية متخصصة تتبع ما يقال وما يكتب وما ينشر عن الإسلام من أباطيل وترد عليها.
٤- إقامة جسور بيننا وبين المنصفين من علماء الغرب الذين يتحدثون بالحسنى عن الإسلام.
٥- إقامة ندوات ومؤتمرات فى الدول الغربية يتحدث فيها علماء متخصصون يجيدون اللغات الأجنبية لتنفنيذ المزاعم الكاذبة عن الإسلام... الخ.

دور الحوار الديني

تعود أهمية الحوار الديني في علاج تلك الإساءات المتكررة للإسلام إلى الآتي :

١- حاجة الإنسانية الملحة للحوار بوصفه أحد سمات عصرنا الثقافية، ومدخلا لاحتواء الأزمات والنزاعات الدينية، ولا يمكن لنا أن نعيش بمعزل عن الظواهر الكونية التي فرضت نفسها على شعوب العالم... بل يجب علينا أن نشجع الإيجابي منها الذي يتفق وتعاليم ديننا الحنيف، ونرفض السلبي منها الذي يتعارض وأحكام ديننا..

٢- التصدي لظاهرة تحويل النزاعات السياسية في بعض مناطق العالم إلى نزاعات دينية ومذهبية، بكل ما يمثله ذلك التحول من تأجيج للنزاعات على نحو بالغ الخطورة، لمساسها بعقائد ومشاعر وروحانيات الناس في جميع بقاع العالم الكوني .

٣- الحاجة الملحة إلى ضرورة تصحيح الصور السلبية للإسلام "العقيدة والشريعة والقيم والمباديء الأخلاقية والثقافة والتاريخ" التي تقوم بترويجها وبثها وتوزيعها دوائر إعلامية غربية، وفي مناطق عديدة في عالمنا.. والحوار وسيلة فعّالة وناجحة لتحقيق ذلك.

٤- ضرورة إبراز الحقائق والتمايزات بين الإسلام وتعاليمه ومبادئه السمحة، وبين تصرفات بعض الغلاة والمتشددين الذين مارسوا العنف إزاء الآخرين وفق تفسيرات فقهية تتسم بالغلو والتشدد على نحو ما تم في أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وأحداث الأقصر ووسط القاهرة وطابا وشرم الشيخ، وأحداث شرق الرياض، وأحداث الدار البيضاء، وأحداث جزيرة بالي ، وأحداث قطار مدريد، وأحداث أنفاق لندن... وغيرها.

المنهج المطلوب لتفعيل الحوارالديني

ما دام الحوار هو لغة الإسلام، وما دام الإسلام هو اللغة التي أرتضاها الخالق- جل وعلا- لتكون لغة التفاهم بين البشر، وهو اللغة التي علمها الله لنا في القرآن الكريم، وما دام الحوار قد فرض نفسه على العلاقات الدولية في العالم، وأصبح ضرورة تحتاج إليها الإنسانية في عصرنا الحالي للأسباب السابق إيضاحها، والمبررات السابق بيانها... فإن الدين والواقع يحتمان علينا أن نلج الحوار ولا نغلقه، وأن نتمسك به ولا نرفضه، وأن نشجعه ولا نخذله...

لا سيما وأننا نواجه أعداء متربصين بنا، يتمنون أن نرفض الحوار الديني ونقاطعه، كي يهللوا ويصيحوا؛ مستخدمين ذلك ذريعة لتأكيد اتهاماتهم الباطلة للإسلام بأنه دين إنعزالي لا يقبل الآخر ولا يتعامل معه...، والصهيونية العالمية عندها من وسائل الإعلام المتنوعة ما يمكنها من نشر أباطيلها، وتعميم افتراءاتها.

وعلى ذلك فإن المصلحة العامة تقتضي الاستمرار في الحوار الديني ، وأن نشجعه ولا نتخلى عنه...

غير أن الحوار الديني الذي بدأنا نمارسه في آواخر القرن الماضي وحتى الآن، يحتاج منا إلى تقييمه، وإلى أن نضع له ضوابط تراعى فيها مباديء أساسية هامة عند ممارسته، لضمان تنفيذه في إطار من المنطق السليم، والفكر المستنير، والجدال بالتي هي أحسن، وإخلاص النيّة في الوصول إلى الحق والصواب، وإلى الخير والرشاد... من هذه الضوابط:

(أ)- اتفاق الطرفين المتحاورين على تحديد الهدف من الحوار: وهو الوصول إلى الحقيقة والصواب في الموضوع محل الحوار، وقبول الحق والتسليم به متى ثبت بالدليل الواضح، والبرهان الساطع، والحجة القوية السليمة... حتى ولو كان إظهار الحق على يد الطرف المخالف.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي - رحمه الله- عند الحديث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتناظران والمتحاوران في مسألة معينة، يقول(١) :

" أن يكون المتحاوران في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد مَنْ يعاونه، ويرى رفيقه مُعينا لا خصما، ويشكره إذا عَرّفه الخطأ، وأظهر له الحق " .

ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: " ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطيء، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يُظهر الله الحق على لساني أو على لسانه، وما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبتُه واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق إلا سقط من عيني ورفضته، وودت لو انتفع الناس بعلمي دون أن يُنسب إلي منه شيء " .

(ب)- الالتزام بموضوع الحوار، وعدم الخروج عنه عند المناقشة وتبادل الآراء فيه بين المتحاورين، فكثيرا ما نرى عند مناقشة موضوع معين محدد تعمد بعض الأطراف المتحاورة الخروج عن الموضوع والدخول في موضوعات فرعية جانبية لا علاقة لها بالموضوع الأصلي ، فتتوه الحقيقة

(١) كتاب: "إحياء علوم الدين" جـ ١- ص ٧٦- ط دار الحديث.

ويتشتت الفكر، وتتشعب المسائل، وبدلا من أن يكون القصد هو الوصول إلى حل مشكلة معينة محددة هي موضوع الحوار، إذ بنا نغوص في مستنقع من المشكلات ظهرت فجأة ولم تكن في الحسبان، بعد أن أختلطت الأوراق وتداخلت الموضوعات...

(ج) نبذ التعصب للرأي ، وضرورة الالتزام باحترام الرأي الآخر، فكثيرٌ من الخلافات التي تحدث بين الناس ترجع إلى التعصب الذميم للرأي أو الفكر، أو إلى التقليد الأعمى العقيم، أو إلى الانقياد إلى الهوى والرغبة في تحقيق منافع شخصية، أو إلى الطموح إلى الشهرة... إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعل الحوار لا فائدة منه، بل على العكس تكون النتيجة أن يزداد الخلاف، وتتسع الفجوة بين المتحاورين، وتتباعد المسافات، وتنشأ الصراعات، وتحدث المصادمات...

ولكن لو تجرد أطراف الحوار من التعصب للرأي ، واحترم كل طرف رأي الآخر، وتم إفساح المجال أمام كل طرف كي يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله: أو توجيه إساءة إليه، والتزم الجميع بالحكمة التي تقول: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه" لنجح الحوار وتحققت غايته...

(د)- التزام كل عضو من أعضاء طرفي الحوار باحترام بقية الأعضاء، وعدم التعالي عليهم، والحرص على استعمال الأسلوب الراقي المهذب الذي لا يعرّض بالآخرين، ولا ينقص من قدرهم، ولا يحط من شأنهم... وأن يتجنب الكِبْر والغرور، والتباهي بالأقوال والآراء عند النقاش والحوار،

وليحذر أي إنسان عند مشاركته في أي حوار أن يظن أنه وحده هو الذي يملك الحق المطلق والرأي الصحيح، وأن ما عداه أقل منه علما ومنزلة...

(هـ) تحقيق المساواة بين أعضاء طرفي الحوار في المستوى العلمي والثقافي ، والإلمام الكامل بالمعلومات عن موضوع الحوار، حتى يتسنى لكل طرف إستعمال علمه ومعرفته وثقافته والتعبير عن ذلك بالمنطق السليم، والأسلوب الراقي المهذب، وأن يقدم كل طرف الدليل القوي ، والبرهان الناصع الذي يؤيد رأيه... حتى إذا ما اتضحت الحقيقة واستبان الصواب كان ذلك مبنيا على علم مدعم بالأدلة والبراهين الساطعة من غير أن يقلل من شأن أي طرف.

إذ قد لوحظ في بعض لقاءات الحوار أن يتعمد طرف فيها دعوة بعض أعضاء ليسوا مؤهلين للحوار علمياً وثقافياً ومعرفة ونقاشاً في موضوع الحوار المحدد المعلن " وقد يكونون على مستوى عال من العلم والمعرفة والثقافة في موضوعات أخرى " وذلك بهدف إظهار ضعف الرأي المخالف، وإعلان قوة وصحة الرأي الأول.

وهذا يدخل في باب الغش والخداع والكذب، والبعد عن الصدق والأمانة، ولا يدخل في مسمى الحوار السليم البناء الذي يقصد به الوصول إلى الحق.

(و)- ضمان حرية الرأى في التعبير لأعضاء طرفي الحوار، بشرط عدم تجريح الآخرين، أو الطعن في العقيدة، أو الخروج على الآداب العامة، وضمان الأمن والأمان لهم عند التعرض للآراء المخالفة التي تتبناها بعض

السلطات التي في يدها الترهيب والتخويف، فالخوف من الصراحة في الكلام لا يوصل إلى نتائج سليمة...

(ز)- أهمية توفير المعلومات الكاملة الصحيحة عن موضوع الحوار لدى المتحاورين، لاسيما إذا كان الحوار يتعلق بموضوعات اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو دينية... حتى يتسنى للمتحاورين مناقشة القضية- موضوع الحوار- بموضوعية، واتخاذ القرار المناسب لها عند الوصول إلى الحقيقة.

إذ كيف يتسنى للمتحاورين مناقشة موضوع ما؛ والمعلومات الصحيحة عنه مجهولة؟؟

خاتمة

أختم حديثي بالإجابة عن سؤال يتردد على ألسنة بعض المشاركين، ويجول في خاطر أذهان كثير من المسلمين، وهو:

هل ثمة إمكانية لنجاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر، مع تحفظه وتصديه للاهوت التحرير ومدارسه وحركاته، ومقررات المجمع الفاتيكي الثاني؟

مما لا جدال فيه أن العلاقات بين الفاتيكان والعالم الإسلامي قد تدهورت بعدما تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، خاصة بعدما جاء في محاضرته التي ألقاها في جامعة ريجينسبورج بولاية بافاريا الألمانية يوم الثلاثاء ١٢/ ٩/ ٢٠٠٦م تحت عنوان: "الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات"، وربط فيها بين الإسلام والعنف.

وما أثارته هذه المحاضرة من موجة احتجاجات وغضب لدى المسلمين في جميع أنحاء العالم، وقيام مظاهرات احتجاج ضدها، وتصدي قادة المسلمين والسياسيين في العالم للرد عليها...

كما أن السياسة التي اتبعها البابا بالنسبة للحوار الديني بعد توليه البابوية، كانت تدعو إلى الإحباط من الاستمرار في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي، لاسيما بعد أن قرر في شهر مارس ٢٠٠٦م تقليص دور المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وإدماجه في المحفل البابوي للثقافة، ونقل رئيس المجلس الأسقف/ فيتزجيرالد- الذي يجيد اللغة العربية، وله

خبرة واسعة في العالم، ويحظى بالتقدير كممثل لحاضرة الفاتيكان في المفاوضات مع العالم الإسلامي - نقله وتعيينه سفيراً للفاتيكان لدى القاهرة والجامعة العربية...

إلا أن هناك بوادر تشير إلى تراجع بابا الكنيسة الكاثوليكية عن قراره، فقد قال وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال تارسيسيو بيرتوني لصحيفة "لاستمبا" الإيطالية: إن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديواناً مستقلاً.

وأضاف بيرتوني : إن القرار الجديد يشير إلى الأهمية التي يوليها الفاتيكان لموضوع الحوار بين الأديان.

واعتبر مراسل بي بي سي في روما ديفيد ويلي أن التراجع عن قرار الدمج يُعد إقراراً ضمنياً بأنه كان قراراً خاطئاً ... إضافة إلى ذلك، سبق أن أعلن البابا بندكت السادس عشر- خلال صلاة التبشير التي أقامها في كاستل غاندولفو-: أنه "حزين جدا" لموجة الاحتجاجات التي أثارها كلامه عن الإسلام الذي "لا يعبر إطلاقاً عن أفكاره الشخصية".

لكن البابا الذي تحدث علنا للمرة الأولى في هذه القضية الشائكة، والأكثر خطورة منذ تعيينه لم يذهب إلى حد تقديم اعتذارات رسمية طالبه بها العالم الإسلامي .

وفي محاولة منه لتهدئة غضب المسلمين، قال البابا- أمام حشد في مقره الصيفي في كاسيلجندولفو بإيطاليا يوم الأحد ١٧/ ٩/ ٢٠٠٦م- : أشعر بأسف بالغ عن ردود الفعل في بعض الدول تجاه فقرات محدودة وردت في

خطابي بجامعة ريجينسبرج، والتي اعتبرت مهينة لمشاعر المسلمين، كانت تلك في واقع الأمر اقتباسات من نص من العصور الوسطى، والتي لا تعبر بأي حال عن رأيي الشخصي .

ويصر البابا على أن تصريحاته انتزعت من سياقها، وأنه لم يكن القصد منها الإساءة إلى الدين الإسلامي .

إذا أخذنا في الاعتبار تصريحات البابا التي يؤكد فيها على أنه لم يقصد الإساءة إلى الإسلام، وأن الكلام الذي ورد في محاضرته لا يعبّر عن رأيه الشخصي ، وأخذنا تصريحات وزير خارجية الفاتيكان بأن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديواناً مستقلاً..

وأضفنا إلى ذلك تربص أعداء الإسلام بنا، وأنهم يتحينون الفرصة- لو أعلنا رفضنا للحوار الديني - لتأليب العالم ضدنا، وفتح ملف أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م من جديد، وربط رفض الحوار الديني بالإرهاب، واتهام المسلمين والإسلام بالانعزالية وعدم التعايش السلمي مع غير المسلمين، وسياسة العداء للإسلام التي يتبناها العديد من الحاخامات اليهود...

إذا راعينا كل ذلك فإننا نقول: بضرورة الحوار الديني مع الفاتيكان، وأنه من المؤكد أن هناك إمكانية لنجاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر...

غير أنه لابد أن تكون لنا استراتيجية إسلامية للحوار الديني مع الآخرين عموما، وأن يدور الحوار الديني بعقلانية وتبصر حول القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان، وحول مشكلات عالمنا المعولم، ولا ينبغي أن نتراجع

عن الحوار الديني وآلياته تحت ضغوط بعض الدوائر المعادية للإسلام، أو الاحباط الذي ينتاب البعض إزاء تصريحات يقولها بعض كبار رجال الدين الكاثوليك أو غيرهم التي تنطوي على رؤى سلبية، أو آراء تتسم بالتشدد أو التعصب، فهؤلاء يُرد عليهم بعقلانية، ويتم التصدي لهم بالحجة والمعلومة والمنهج العلمي والتاريخي .

وإذا كانت السياسة تعتمد على المعطيات والمعلومات والتحليل والخيال السياسي الخلاق، لأنها لا تعرف- كما يذهب بعض الباحثين- التطير السياسي ، أو التفاؤل والتشاؤم... فإننا يجب ألا نأخذ بالتطير أو الإحباط في مجال الحوار الديني - الديني ، والحوار الديني - المذهبي ، لأن الوصول إلى حالة تهدئة بين أتباع الأديان في عالم اليوم من الأهمية بمكان...

والله ولي التوفيق